معرفة الوجوه والنظائر في القرآن الكريم

القرآن الكَرِيْم أنزله الله تعَالَى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣].

يُشبه بعضه بعضًا فِي الفَصَاحَة والإعجاز، وعَدَم التناقض، وإبداع ألفاظه، واستخراج حِكَمه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

يُثَنِّى ويُكَرَّر على مُرُور الأوقات، وكر الإعصار، واختلاف الأحوال، فلا يُمل ولا تَخلق ديباج حسنه، ولا تنقضي عَجَائبه، ولا تفنَى فوائده، ولا تَضمَحل اضمحلال غيره من الكلام، فـ «لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا يَخْلق على كثرة الرد».

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧].

فالذين فِي قلوبهم زيغ يدعون الْمُحكَم الذي لا اشتباه فيه ولا اختلاف، ويَتَّبعُونَ الْمُتَشَابه من اللفظ؛ الذي يكون فِي موضع كذا وفِي موضع كذا ابتغاء الفتنه؛ ليفتنوا بهَا الناس إذا وَضَعُوه على غير موضعه.

وفِي القُرآن ألفاظ لَهَا فِي لسان العَرَب أكثر من مَعنَى تُسَمَّى بالألفاظ الْمُشتركة، وتُلَقَّب بـ: «الْمُشتَرك اللفظي».

وفِي القرآن ألفاظ لَهَا مَعنَى واحد، لكنها تصدق على أكثر من ذات، وتُسَمَّى بالألفاظ الْمُتَوَاطئة، وتلقب بـ: «الْمُتَوَاطئ اللفظي».

والاهتمام ببيان مَعَانِي هذه الألفاظ واختلاف معانيها بِحَسب الْمَوضع الذي جَاءَت فيه بدأ مَعَ بداية التفسير، بل إنَّ الرَّسُول ﷺ وهو الْمُفسر والْمُبين لكلام الله تعالى بَيَّنَ لصَحَابته شيئًا من ذلك لَمَّا أشكل عليهم.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾. عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ؛ فَلاَ يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: **إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ**»[1].

وأنت ترى فِي هَذَا الْحَديث كيف فهم عدي بن حَاتِم الطائي أنَّ الْمَقصُود من الْخَيط هو العقال: الْحُبَيل الذي يشد به رُكبة البعير لئلا يهرب، فبَيَّنَ له الرَّسُول ﷺ الْمَعنَى الْمَقصُود، فليس الْمَعنَى ذلك الذي فهمه، ولكنه بَيَاض الفجر وسَوَاد الليل.

ويلاحظ أنَّ فهم عدي لِمَعنَى «خيط» لَمْ يَخرج فيه عن لسان العَرَب، ولكن اللفظ مشترك بين الْمَعنَى الذي فهمه، وبين الْمَعنَى الذي أراده الشَّارع، فبَيَّنَ له الرَّسُول ﷺ هذا الْمَعنَى الْمَقصُود فِي سياقه الذي وَرَدَ فيه.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟! قَالَ: **لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ لَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ: بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابْنِهِ:** ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[2].

فانظر كيف فهم الصَّحَابة من لفظة «ظلم»، وكيف بَيَّنَ لَهُم الرَّسُول ﷺ الْمَقصُود، وأزال الإشكال الذي حَصَلَ لديهم، بأن بَيَّنَ أنَّ الْمُرَاد فِي الآية: ظلم العبد لنفسه بأن يشرك بربِّه غيره.

ومثل هذا ونَحوه تَجده فِي كلام الصَّحَابة -رضوان الله عليهم- فِي تفسير

---

(١) أخرجه البخاري فِي كتاب الصَّوم، باب قول الله تعَالَى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾. حديث رقم (١٩١٦)، ومسلم فِي كتاب الصِّيام، باب: بَيَان أنَّ الدخول فِي الصَّوم يَحصل بطلوع الفجر، حديث رقم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه البخاري فِي كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾. حديث رقم (٣٣٦٠)، ومسلم فِي كتاب الإيْمَان، باب: صدق الإيْمَان وإخلاصه، حديث رقم (١٢٤).

القرآن العظيم:

عن طاوس قال: سألت ابن عبَّاس عن قوله تعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ [البقرة:١٩٧]. قال: الرفث الذي ذكر فِي: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]. ذلك الْجِمَاع.

عن ابن عبَّاس قال: الدُّخُول والتغشي والإفضاء والْمُبَاشرة والرفث واللمس والمس والْمَسيس: الْجِمَاع.

والرفث فِي الصِّيام: الْجِمَاع.

والرفث فِي الْحَج: الإغراء به.

وهذا العراب بكلام العرب، والتعريض بذكر النكاح»[1].

فهذا ابن عباس ﷺ يفرق بين معنيين لكلمة واحدة وردت فِي آيتين.

عن ابن عبَّاس فِي قوله تعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) عَزَاه فِي الدر الْمَنثُور (٥٢٨/١) إِلَى: عبد الرزاق، وعبد بن حُميد، وابن الْمُنذر، والبيهقي فِي سُننه، والأثر فِي سنن البيهقي (١٦٢/): عن عليٍّ بن أبِي طلحة، عن ابن عبَّاس ﷺ أنه قال فِي قوله T: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: «الدخول: النكاح». يريد بالنكاح: الْجِمَاع. وقال فِي الْمَس واللمس والإفضاء نَحو ذلك

وبَلغَنِي عن طاوس أنه قال: «الدخول: الْجِمَاع».

وفِي مصنف عبد الرزاق (٢٧٧/٦)، وبنحوه عند ابن أبِي شيبة (١٥٤/١)، والبيهقي فِي السنن (١٢٥/١) (٤٢٤/٧)، عن ابن عباس: «الدخول والتغشي والإفضاء والْمُبَاشرة والرفث واللمس، هذا الْجِمَاع غير أنَّ الله حيي كَرِيم يُكنِّي بِمَا شَاءَ عَمَّا شاء».

وفيه عن ابن جريج قال: أخبرنِي ابن طاوس، عن أبيه أنه كان يقول: «الدخول واللمس والْمَسيس: الْجِمَاع.

والرفث فِي الصيام: الْجِمَاع.

والرفث فِي الْحَج: الإغراء به.

قال ابن جريج: وقال عمرو بن دينار: الدخول: الْجِمَاع».

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الْمَائدة:٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الْمَائدة:٤٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الْمَائدة:٤٧]. قال: «كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق»[(١)].

فابن عباس يُشير هنا إلَى أنَّ الْمُرَاد بالكفر هنا ليس الكفر الْمُخرج من الْمِلَّة الْمَذكُور فِي آيات أخرى، وكذا الظلم والفسق، إنَّمَا بِحَسب حال من يَحكُم بغير شرع الله، فأحيانًا يكون كُفرًا مُخرجًا من الْمِلَّة، وأحيانًا لا يكون كذلك، وكذا الظلم والفسق.

وهذه الأسْمَاء الْمُشتَركة فِي اللفظ من الْمُتَشَابه، وبعض الألفاظ الْمُتَوَاطئة أيضًا من الْمُتَشَابه، ويُسَمِّيهَا أهل التفسير: «الوجوه والنظائر»[(٢)].

فما تعريف الوجوه والنظائر؟

❋ تعريف الوجوه والنظائر:

ذكر أهل العلم -رَحِمَهم الله- للوجوه والنظائر تعريفين:

- التعريف الأول:

الوجوه: اسم للمَعَانِي.

النظائر: اسم للألفاظ.

وشرح التعريف: أن تكون الكلمة الواحدة ذُكرت فِي أكثر من مَوضع من القرآن عَلَى لفظ واحد، وعلى حَرَكَة واحدة، وأريد بكل كلمة مَعنًى غير الآخر،

---

(١) الْمُستدرك (٣٤٢/٢) مُختَصرًا، ومن طريقه البيهقي (٢٠/٨)، وانظر: الدر الْمَنثُور (٨٧/٣).

(٢) مَجمُوع الفتاوى (٢٧٦/١٣).

فلفظ كل كلمه ذكرت فِي موضع نظير للفظ الكلمة الْمَذكُورَة فِي الْمَوضع الآخر[1].

وتفسير كل كلمه بِمَعنًى غير مَعنَى الأخرى هو الوجه.

قال ابن الْجَوزي (ت ٥٩٧هـ) -رَحِمَه الله- **تعليقًا على هذا التعريف:** «فهذا الأصل فِي وضع كتب الوُجُوه والنظائر، والذي أراد العُلَمَاء بوضع كتب الوُجُوه والنظائر أن يُعَرِّفُوا السَّامع لَهَذه النظائر أنَّ مَعَانيها تَختَلف، وأنه ليس الْمُرَاد بِهَذه اللفظة ما أريد بالأخرى.

وقد تَجَوَّز واضعوها، فذكروا كلمة واحده مَعنَاهَا فِي جَميع الْمَوَاضع واحد، كالبلد، والقرية، والْمَدينة، والرَّجُل، والإنسان .. ونَحو ذلك، إلا أنه يُرَاد بالبلد فِي هذه الآية غير البلد فِي الآية الأخرى، وبِهَذه القرية غير القرية فِي الآية الأخرى، فحذو بذلك حذو الوجوه والنظائر الْحَقَيقية» اهـ.

ويلاحظ ما يلي:

- أن هَذَا التعريف يَجعَل موضوع كتب الوجوه والنظائر: الْمُشترك اللفظي فقط.

- أنَّ ابن الْجَوزي (ت ٥٩٧هـ) -رَحِمَه الله- يَزعُم أنَّ هذا هو الأصل فِي وَضع الوُجُوه والنظائر.

- أنَّ وُجُود الألفاظ الْمُتَوَاطئة فِي كتب الوُجُوه والنظائر إنَّمَا هو من قبيل تَجَوُّز الْمُصَنفين وتَسَاهُلهم عَلَى حَدِّ قول ابن الْجَوزي -رَحِمَه الله-.

*** التعريف الثاني:**

الوجوه: اللفظ الْمُشتَرك.

النظائر: اللفظ الْمُتَوَاطئ.

---

(١) نزهة الأعين النواظر (ص٨٤).

وشرح التعريف: إذا كانت اللفظة الواحدة تَتَكَرَّر فِي مَوَاضع من القرآن الكَرِيْم، ولَهَا فِي كُلِّ موضع من القرآن الكَرِيْم مَعنًى غير الآخر، فهذه اللفظة يُقَال لَهَا: مشترك لفظي.

وإذا كانت اللفظة الواحدة تَتَكَرَّر فِي مواضع من القرآن الكَرِيْم، ولَهَا فِي كل الْمَوَاضع مَعنًى واحد فقط، لكن هذا الْمَعنَى يصدق على أفراد كثيرين، فإنه يُقَال له: متواطئ لفظي.

ومثال المتواطئ: لفظه «قرية» حيث تكررت فِي القرآن فِي أكثر من خَمسين موضعًا، ومن كل هذه الْمَوَاضع مَعنَى القرية واحد فقط، لكن الْمُرَاد منها يَختلف.

فمثلاً فِي قوله تعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة:٥٨]. القرية هنا: أريْحَا، أو القدس.

وفِي قوله تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء:٧٥]. القرية هنا: مكة.

وفِي قوله تعَالَى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢]. القرية هنا: مصر.

فمَعنَى القرية فِي كُلِّ هذه الْمَوَاضع واحد، لكن الْمُرَاد منها يَختَلف فِي كل موضع عن الآخر.

وقد اعتمد هذا التعريف للوجوه والنظائر ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، والزركشي (ت٧٩٤هـ)[1]، والسيوطي (ت٩١١هـ)[2] -رَحِمَهُم الله-، وردوا التعريف الأول.

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) **-رَحِمَه الله-**: «الوجوه فِي الأسْمَاء الْمُشتَرَكَة،

---

(١) البرهان فِي علوم القرآن (١٠٢/١).

(٢) الإتقان فِي علوم القرآن (الْحَلبِي-١٨٥/١).

والنظائر فِي الأسْمَاء الْمُتَوَاطئة.

وقد ظَنَّ بعض أصحابنا الْمُصَنفين فِي ذلك: أن الوجوه والنظائر جَميعًا فِي الأسْمَاء الْمُشتَركَة؛ فهي نظائر باعتبار اللفظ، ووجوه باعتبار الْمَعنَى؛ وليس الأمر على ما قاله، بل كلامهم صريح فيما قلناه لِمَنْ تأمله» اهـ[1].

وعلل الزركشي وتبعه السيوطي رَدَّ التعريف الأول، بأنه «لو أريد هذا -يَعنِي: التعريف الأول-؛ لكان الْجَمع فِي الألفاظ الْمُشتَركَة، وهم يذكرون فِي تلك الكتب اللفظ الذي مَعنَاه واحد فِي مَوَاضع كثيرة، فيجعلون الوجه نوعًا لأقسام، والنظائر نوعا آخر»[2].

والذي يظهر -والله أعلم- مع هذا الواقع أنه ليس أمامنا إلاَّ الكتب الْمُصَنَّفَة فِي هذا العلم نستشف منها موضوعها، وهي تشمل الْمُشتَرك اللفظي، ولَمْ نر كتابًا منها اقتصر على الْمُشتَرك فقط.

وما ذكره ابن الْجَوزي (ت٥٩٧هـ) **-رَحِمَه الله-**: أنَّ الأصل فِي وضع الْمُصَنفَات فِي الوجوه والنظائر إنَّمَا هو الْمُشتَرك اللفظي، وأنَّ وُجُود الْمُتَوَاطئ اللفظي فيها إنَّمَا هو من قبيل تَجَوز الْمُصَنفين وتساهلهم فِي تصنيفهم؛ هذه دعوى ينقصها البرهان والدليل، والله أعلم.

❋ فضل وأهمية معرفة الوجوه والنظائر:

معرفة الوجوه والنظائر من معرفة التفسير، وفضلها من فضله، فكل ما يُقَال فِي فضل التفسير وأهَميته يُقَال فِي معرفة الوجوه والنظائر.

وإذا كَانَ شرف الصِّنَاعَة إمَّا بِمَوضُوعهَا، وإمَّا بغَرَضهَا، وإمَّا بشدة الْحَاجَة

---

(١) مَجمُوع الفتاوى (١٣/٢٧٦-٢٧٧).

(٢) البرهان (١/١٠٢)، والإتقان (الْحَلبِي-١/١٨٥).

إليها ..

فإنَّ معرفة الوجوه والنظائر حازت الشرف من الْجِهَات الثلاثة:

من جهة الْمَوضُوع: لأنَّ موضوعها كلام الله تعَالَى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة.

ومن جهة الغرض: لأنَّ الغرض من هذه الْمَعرفة هو معرفة مُرَاد الله من كلامه، والاعتصام به؛ للوصول إلَى السَّعَادَة فِي الدَّارَين.

ومن جهة شدة الْحَاجة: لأنَّ كل كمال دينِي أو دُنيوي عاجل أو آجل مُفتَقر إلَى عُلوم الشَّريعَة والْمَعَارف الدِّينيَّة، وهى مُتَوقفة عَلَى العلم بكتاب الله تعَالَى؛ ومن العلم بكتاب الله الكَرِيْم معرفة الوجوه والنظائر فِي الألفاظ القرآنيَّة[1].

زد عَلَى هَذَا: أنَّ فيه إظهارًا لنوع إعجاز فِي القرآن الكَرِيْم، حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلَى عشرين وجهًا أو أكثر أو أقل، ولا يُوجَد ذلك فِي كلام البشر.

كَمَا أنَّ فِي طلب الوُجُوه والنظائر فِي القرآن الكَرِيْم تَدبُّرًا لكتاب الله ولِمَعَانيه، ففيه امتثال لأمره -تبارك وتعَالَى- لنا بتدبر القرآن، قال -تبارك وتعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وقال -تبارك وتعَالَى-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [مُحَمَّد:٢٤].

ومن ذلك: قراءة القرآن الكَرِيْم، وفيها ما وُرَدَ فِي حديث ابن مسعود عن الرسول ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾. حرف، ولكن (ألف) حرف، (ولام) حرف، (وميم) حرف**»[2].

---

(١) انظر مُقدِّمة جامع التفاسير (ص٩١).

(٢) أخرجه الترمذي فِي أبواب فَضَائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ما له من الأجر، حديث رقم (٣٠٨٧)، وصَحَّحَه الألبانِي فِي صحيح سنن الترمذي (٩/٣)، حديث رقم (٢٣٢٧)، ورواه الدارمي وغيره، وصَحَّحَه مُحَقق جامع الأصول (٤٩٨/٨).

والْمُشتَغل بتطلب وتفهم وجوه ونظائر ألفاظ القرآن الكَرِيْم مُشتَغل بالقُرآن الكَرِيْم وقرَاءته، فله ذلك الأجر الذي ذكره الْمُصطَفَى ﷺ.

* عيون من أمثلة الوجوه والنظائر :

- النكاح:

وردت فِي القرآن ويُرَاد بهَا أمور:

الأول: العقد، ومنه قوله تعَالَى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب:٤٩]. فإن قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ يدل عَلَى أنَّ الْمُرَاد العقد لا الوطء.

الثاني: الوطء، ومنه قوله تعَالَى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٠]. فقد بَيَّنت السنَّة أنَّ الْمَقصُود لا مُجَرَّد العقد، إنَّمَا هو الوطء: «**لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقُ عُسَيْلَتكِ**»(١).

الثالث: العقد والوطء، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء:٢٢]. وظاهر أنَّ الْمَقصُود بالنكاح فِي الآية العقد والوطء؛ فإنه لا يَجُوز العقد على زَوجَة الأب بله الوطء!

الرابع: بلوغ سن الْحُلم، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ

---

(١) جاء ذلك فِي قصَّة رفاعة القرظي ﷺ، أخرجه البخاري فِي كتاب الطلاق، باب: إذا طلقها ثلاثًا، ثُمَّ تزوجت بعد العدَّة زوجًا غيره، فلم يَمسها، ومسلم فِي كتاب النكاح، باب: لا تَحل الْمُطلقة حتَّى تنكح زوجًا غيره ويطأها من حديث عائشة ﷺ، جامع الأصول (١١/٤٩٧-٤٩٩).

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

الْخَامس: الْمَهر، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٣].

- الجزء:

وردت فِي القرآن ويُراد بِهَا أمور:

الأول: بعض الشيء، ومنه قوله تعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة:٢٦٠].

الثاني: الولد، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:١٥]، وهم إنَّمَا ادَّعَوا الولد لله -تعَالَى عَمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-؛ فسماه جُزءًا.

- الإنسان:

وردت فِي القرآن العظيم ويُراد بِهَا أمور منها:

أحدها: عُمُوم جنس البشر، ومنه قوله تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢]. لذلك سلط عليه الاستثناء فِي قوله تعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣].

الثاني: آدم أبو البشر، ومنه قوله تعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الْحِجر:٢٦].

الثالث: الكافر، ومنه قوله تعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة:٣]. لأنَّ الْمُؤمن لا يظن ذلك بله اعتقاده.

- الصاحب:

وردت فِي القرآن ويُرادُ بِهَا أمور:

أحدها: النبِي ﷺ ، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:١-٢].

الثاني: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومنه قوله تعَالَى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة:٤٠].

الثالث: الزوج، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٦].

- الأمـر:

وردت فِي القرآن ويُرَاد بِهَا أمور منها:

أحدها: الدِّين، ومنه قوله تعَالَى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٤٨].

الثاني: العذاب، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود:٤٤].

الثالث: الوحي، ومنه قوله تعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة:٥].

الرابع: فتح مكة ،ومنه قوله تعالى ﴿ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة:٢٤].

- الإحصان:

وردت فِي القرآن ويراد بِهَا أمور:

أحدها: الإحصان فِي الزنا الذي يوجب الرَّجم عَلَى الزَّانِي، وهو الوطء بنكاح.

قال النووي: «ليس له ذكر فِي القرآن العزيز إلاَّ فِي قوله تعَالَى: ﴿مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾» اهـ.

الثاني: وهو الإحصان فِي الْمَقذُوف وهو العفَّة، وهو الذي يُوجب عَلَى قاذفه ثَمَانين جلده، ومنه قوله تعَالَى ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور:٤].

الثالث: الإحصان بمَعنَى الْحُريَّة، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

الرابع: الإحصان بمَعنَى التَّزويج، ومنه قوله تعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ إلى قوله تعَالَى ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾.

الْخَامس: الإحصان بمَعنَى الإسلام، وهو الْمُرَاد بقوله تعَالَى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾. على قول ابن عمر، وابن مسعود، والشَّعبي وإبراهيم، والسدي.

وذهب ابن عبَّاس، وسعيد بن جبير، ومُجَاهد، وقتادة -رَحِمَهم الله- إلَى معناها فِي الآية:

أحصن: تزوجن.

- الصلاة:

وردت فِي القرآن ويُرَاد به أمور:

الأول: الصَّلاة الشَّرعيَّة، ومنه قوله تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النمل:٣]. وكذلك كل صلاة مقرونة بالزكاة فِي القرآن الكَرِيْم.

الثاني: الْمَغفرَة، ومنه قوله تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

الثالث: الدعاء، ومنه قوله تعَالَى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ﴾ [التوبة:١٠٣].

الرابع: القراءة، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠].

الْخَامس: موضع الصَّلاة، ومنه قوله تعَالَى: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ

وَمَسَٰجِدُ﴾ [الْحَج:٤٠].

السادس: صلاة الْجُمعَة، ومنه قوله تعَالَى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الْجُمعة:٩].

❋ مسائل و تنبيهات:

مسألة الوجوه والنظائر من التفسير، فيشترط لقبولِهَا ما يشترط فِي قبول التفسير بالرِّوَاية والدِّرَايه، بِمَعنَى: أنَّ الْمَعَانِي الَّتِي تذكر للألفاظ القرآنيَّة، وكانت من باب الوجوه والنظائر، وكانت مِمَّا لا طريق إلى معرفته إلاَّ الرِّوَاية؛ فَإِنَّنا لا نقبل هذا الْمَعنَى، وكَذَا إذا كانت الْمَعَانِي الوَارِدَة مِمَّا لا سبيل إلَى معرفته إلاَّ بالدِّرَاية؛ فإننا نشترط لقبولِهَا شروط قبول التفسير بالدِّرَاية «بالرأي»، والله أعلم.

مسألة: لا يَخرج فِي مَعَانِي الألفاظ القرآنية الَّتِي من قبيل الوجوه والنظائر عن حَدِّ الشرع واللغة العربية، مَعَ مُرَاعَاة تَقديْم الْمَعنَى الشَّرعي على اللغوي، إذا اجتمعا، ولَمْ تأتِ قرينه دالة على الْمَعنَى اللغوي، كما فِي كلمة «الصَّلاة» و«الزكاة» مثلاً.

❋ تنبيه:

بناء على ما تقدم نقول: العمدة فِي بيان الألفاظ الَّتِي لَهَا وُجُوه فِي القرآن هو: علم التفسير، لا علم اللغة فقط، فليس كل ما سَاغَ لغة سَاغَ تفسيرًا، فلو وردت لفظة فِي القرآن الكَرِيْم، وتَكَرَّرَت فِي مَوَاضع منه، وكَانَ لَهَا فِي اللغة العربيَّة أكثر من مَعنًى؛ فإننا لا نستطيع أن نقول: إنَّها وَرَدَت بِجَميع هذه الْمَعَانِي فِي القرآن حتَّى نتأكد من ذلك على مُقتَضَى الشُّرُوط الْمَوضُوعَة لقبول التفسير الاجتهادي.

❋ تنبيه:

ليس كل ما جاء فِي كتاب الوجوه والنظائر مُسَلَّم، بل لابد من اعتباره وسبره، فقد يذكرون للفظة الواحدة أكثر من مَعنَى أو مُرَاد، ولا يسلم له؛ إذ تكون جَميعها

راجعة إلَى مَعنًى واحد.

بل قد يذكرون للكلمة الواحدة عدَّة أوجه: أحدها حقيقيَّة، وسائرها مَجَاز وتأويل لا داعي له كَمَا قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) فِي مَعنَى كلمة «نزول»:

إنَّهَا وردت على أربعة أوجه:

أحدها: القول، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣].

الثاني: الْخَلق، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الْحَديد:٢٥].

الثالث: البسط، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٢٧].

الرابع: نفس الإنزال، ومنه قوله تعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [الشورى:٢٨].

قلت: يلاحظ ما يلي:

أنَّ جَميع هذه الْمَعَاني عَدَا الرابع من قبيل الْمَجَاز والتأويل.

أنَّ الْمَعنَى الْحَقيقي لكلمة نزول هو الرابع.

أنَّ شيخ الإسلام ابن تيميه ألف رسالة اسْمهَا «التبيان فِي نزول القرآن» قال فيها:

«ليس فِي القرآن ولا فِي السنَّة لفظ نزول إلاَّ وفيه مَعنَى النُّزُول الْمَعرُوف، وهذا هو اللائق بالقرآن، فإنه نزل بلغة العرب، ولا تعرف العرب نزولاً إلاَّ بِهَذَا الْمَعنَى، ولو أريد غير هذا الْمَعنَى؛ لكان خطاب بغير لغتها، ثُمَّ هو استعمال اللفظ الْمَعرُوف له مَعنًى فِي مَعنًى آخر بلا بَيَان، وهذا لا يَجُوز .. وبِهَذا يَحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعَالَى أنه بيَّنه وهدى للناس». اهـ.

مثال آخر: كلمة «ساق» ذكر ابن الْجَوزي (ت٥٩٧هـ) أنَّهَا وَرَدت فِي القرآن على وجهين:

أحدهُمَا: العضو الْمَعرُوف، ومنه قوله تعَالَى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص:٣٣]. والسوق: جَمع ساق.

الثاني: الشدَّة، ومنه قوله تعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢].

وقوله: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة:٢٩].

قلت: يلاحظ ما يلي:

١- أنَّ الاستعمال لكلمة «ساق» هو العُضو الْمَعرُوف.

٢- أنَّ هذا الاستعمال ينطبق على الآية الأولَى والثالثة، ولا مانع من إرادته.

٣- أنَّ الآية الثانية ورد فِي التفسير بالْمَأثور حديثٌ عن الرَّسُول ﷺ بَيَّنَ فيه الْمُرَاد: عن أبِي هريرة قَالَ: سَمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**أذا جَمَعَ الله العباد بصعيد واحد؛ نادى منادٍ: يلحق كل قوم بِمَا كانوا يعبدون، ويبقى الناس على حَالِهم، فيأتيهم فيقول: ما بال الناس ذهبوا، وأنتم هاهنا؟! فيقولون: ننتظر إلَهَنا. فيقول: هل تعرفونه؟ فيقول: إذا تعرف إلينا عرفناه. فيكشف لَهم عن ساقه؛ فيقعون سجدًا، وذلك قول الله تعَالَى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد، ثُمَّ يَقُودهم إلَى الْجَنَّة**».

مسألة: يُدرجون فِي كتب الوجوه والنظائر حروف الْمَعَانِي حيث يرد الْحَرف منها فِي أكثر من موضع، وله عدَّة معانٍ.

❋ أشهر الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر:

اهتَمَّ العُلَمَاء -رَحِمَهم الله- بِهَذَا العلم، وصنفوا فيه مُصَنفات كثيرة منها:

١- كتاب «الأشباه والنظائر» لِمُقَاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) مطبوع.

٢- كتاب «تَحصيل نظائر القرآن» للحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ) مطبوع.

٣- كتاب «الوجوه والنظائر فِي القرآن الكَرِيْم» للدامغاني (ت٤٧٨هـ) مطبوع.

٤- كتاب «نزهة الأعين النواظر فِي علم الوجوه والنظائر» لابن الْجَوزي (ت٥٩٧هـ) مطبوع.

٥- كتاب «كشف السَّرَائر عن مَعَانِي الوجوه والنظائر» لابن عماد (ت٨٨٧هـ)

مطبوع.

❊ فائـدة:

كَمَا صنفوا فِي الوُجُوه والنظائر فِي ألفاظ القرآن الكَرِيْم؛ صَنَّفُوا أيضًا فِي الوجوه والنظائر فِي القراءات الواردة فِي القرآن الكَرِيْم، ورأيت فِي ذلك مُصنفًا فريدًا فِي بابه لَم أرَ غيره اسْمُه: «القراءات وأثرها فِي العلوم العربية» فِي مُجَلدين تأليف: مُحَمَّد سَالِم محيسن.

هذا آخر ما تَيَسَّر لِي حول هَذَا الْمَوضُوع، والْحَمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالِحَات ، وسبحانك اللَّهُمَّ وبِحَمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك ..

وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّد، وعَلَى آل مُحَمَّد، وبارك اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّد، وعَلَى آل مُحَمَّد، كَمَا صليت وباركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم؛ إنك حَميد مَجيد ..

❊ ❊ ❊ ❊ ❊